للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير
واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع
امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او
طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات
والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه
وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده
انما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف
اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه الها مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج به الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى
نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله
أمن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان
الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في قوله ومنصوبا على
المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن
فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان
اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب
في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى
قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون
اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي
الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم آيات
الله تعالى استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله
جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم
في

في العمى والعناد وقرئ تشابهت بالتشديد قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين
وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا
او كابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال
على انه نهي للرسول عليه السلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها
او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا
منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه
ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب
اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوات بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين وهو حال مقدرة واولئك خبر بعد خبر ومن
يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر
بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام
معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة ايضاح واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير في ربه لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان
تاخر رتبة لان الشرط احد التقديرين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين
المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه
وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن
وبما تضمنته الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل
هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرا هشام وابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)